# (أيديولوجيا السلوك الصوفي في مواجهة التطرف الديني)

**الباحثة/ مروة رجب أحمد السيد غزال**

**لدرجة الدكتورة كلية الآداب – جامعة العريش**

**المستخلص:** أنواع التطرف عديدة نذكر منها ما يتصل بموضوع بحثنا وهو التطرف العقدي أو الديني والذي يرجع السبب الرئيسي فيه إلى الجهل: وعدم التفقه في الدين، والتقليد الأعمى المطلق لمؤسسي الجماعات المتطرفة في الماضي والحاضر بما يُعرف بالبيعة والسمع والطاعة، كما أن من أخطر أشكال التطرف الديني على العباد والبلاد هو الفهم الخاطئ_لبعض النصوص الدينية كتفسيرهم لمفهوم الجهاد والخلافة والحاكمية والاستشهاد في سبيل الله، وإطلاقهم الشهادة على العمليات الانتحارية ومن مظاهر هذا التطرف التعصب والتشدد على النفس، والتشديد على الغير في غير محله، وإلزامهم بما لم يلزمهم الله به، في حين أن الإسلام دين اليسر وليس العسر، في حين كانت رؤية الصوفية لمفهوم الجهاد قائمة علي جهاد النفس أولاً، فالجهاد لا ينحصر في القتال في سبيل الله وحسب؛ بل هو شامل له ولغيره من كل ما فيه من بذل ومشقة موجهة ضد الأعداء ما دام في سبيل الله، بل هو يشمل جهاد الشيطان والنفس، وجهاد النفس داخليًّا مقدم على جهاد العدو في الخارج، فمن أعظم أنواع الجهاد جهاد التربية، والتي هي أساس المنهج الصوفي، حيث يرتبط مفهوم الجهاد عند الصوفية الأوائل بحركتين أساسيتين وهما: الفتوة والمرابطة.

واذا كان الفهم الخاطي لمفهوم الجهاد هو أحد أخطر الاسباب المؤدية للتطرف الديني فإن الفهم الخاطئ لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخدام جماعات التطرف له، يعد هو ثاني هذه الاسباب، في حين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا خلا من ضوابطه وشروطه أصبحت شروره أعظم من مقاصده الإصلاحية. فهو في الأساس فرض على الكفاية[1]، ودعوة بالحسنى وليس بالعنف والإكراه، وهو ما التزم به الصوفية المعتدلون في منهجهم وطريقهم.

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المجلد٢، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٤م، ص ٣٨٧

**تمهيد:**

إن من أعظم النعم على الإنسان بعد الإيمان بالله هي العافية والأمن، فإذا كانت العافية أصل يقوم عليه البدن، فإن الأمن أصل تقوم عليه الحياة الإنسانية بكل مجالاتها واختلاف أنشطتها، فقد جاء عن النبي ﷺ ما يؤكد حاجة الإنسان إلى الأمن بقوله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»[٢]، وأمن المجتمعات من أعظم مقاصد الشريعة، فزعزعة الاستقرار وإرهاب المسلمين والمستأمنين هو إخلال بالأمن وإفساد في الأرض، وكلمة تطرف التي شاع استخدامها هو سلوك بشري خاطئ، تتنوع صوره وتتباين أشكاله من عصر لآخر، ومن مكان لآخر، فلم يُذكر في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ لفظ التطرف، واللفظ الديني الذي يقابلها هو «الغلو»، والذي ذَمَّه المولى عَزَّ وَجَلَّ في قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾[٣]، وكذلك نهى عنه الرسول ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ»[٤]، فالإسلام دعا إلى الوسطية والاعتدال ونبذ العنف.

**موضوع البحث: ( أيديولوجيا السلوك الصوفي في مواجهة التطرف الديني)**

**إن أنواع التطرف عديدة نذكر منها ما يتصل بموضوع بحثنا وهو التطرف العقدي أو الديني:**

**التطرف العقدي:** هو كل ما يتصل بالفكر غير السوي الشاذ، الذي لا يقبله الناس، وهذا النوع من التطرف يجعل صاحبه لا يرى الحق إلَّا في نفسه، فيغلق أبواب الحوار والنصح، وهذا التطرف يتجسد في المغالاة في السلوك والأداء، خارجًا عن المألوف، محاولًا إرغام الآخرين التقيد بما يفعله قهرًا، وإلَّا يلجأ إلى التهديد والعدوان[٥]، ومنه التطرف في الدين الذي يكون بالأخذ بمنتهاه، وبناحية واحدة من نواحيه، والمتطرف بذلك يجافي الوسطية التي دعانا إليها الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**

---

[٢] رواه الترمذي، وقال حديث حسن غريب، رقم ٢٥١٧.
[٣] النساء: ١٧١.
[٤] رواه ابن ماجه، رقم ٣٠٢٩.
[٥] د. فاروق عبد المجيد السامرائي، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، عمان، الاردن، ٢٠١٧م، ص٢٣

**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[٦]، والتطرف بذلك يكون: مجاوزة حد الاعتدال، وهو قريب من الغلو، فالغلو يعني: المبالغة في أمور الدين، وإدخال ما ليس من الدين فيه. يقال: غلا في الدين بمعنى: تشدد وتصلب فيه، حتى تجاوز الحد، وفي الاصطلاح: الخطأ في فهم الدين، والتجاوز في تطبيقه من المشروع إلى غير المشروع[٧].

١- **أسباب التطرف الديني:**

**يرجع السبب الرئيسي في التطرف الديني إلى الجهل:** وعدم التفقه في الدين، والتقليد الأعمى المطلق لمؤسسي الجماعات المتطرفة في الماضي والحاضر بما يُعرف بالبيعة والسمع والطاعة، فيكون الشخص في حقيقته جاهلًا ولكنه يجهل أنه جاهل، فيظن أنه بلغ مرتبة الاجتهاد، فيجتهد، ولكنه في الحقيقة لم يبلغ تلك الدرجة[٨]، فالجهل في الغالب يؤدي إلى خلل في العمل والأداء، وبه يخرج كثير من الناس من سُنة الاتباع إلى رزية الابتداع، ومن دائرة المعروف إلى دائرة المُنكر، فقد أدى الجهل بأحكام الدين إلى إسقاطات فاسدة شوهت صورة التدين، وعاد اللوم على الإسلام، وفتح الباب للطعن في النصوص، والتشكيك بأصول الدين[٩].

**ومن الأسباب الأخرى المهمة التي أدت إلى التطرف الديني، هو الفهم الخاطئ لبعض النصوص الدينية كتفسيرهم لمفهوم الجهاد والخلافة والحاكمية والاستشهاد في سبيل الله، وإطلاقهم الشهادة على العمليات الانتحارية:** متجاهلين أنه قد تكون الحياة في سبيل الله مطلبًا عظيمًا يفوق اختيار الموت في سبيله، لأن معيار الاختيار يقوم على مدى تحقق النصر والتمكين لدين الله، فمن يستقيم على منهج الله، قد يصل إلى مرتبة الصديقين وهي أعلى مراتب الإيمان بعد النبوة، ورفعها الله فوق مقام الشهداء، من غير بخث لمكانة الشهداء[١٠].

---

[٦] البقرة:١٤٣.
[٧] د. إبراهيم صلاح الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الثاني عشر، القاهرة، ٢٠٢١م، ص ١٩
[٨] د. علي القره داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٨م، ص١٤٢ بتصرف
[٩] د. فاروق عبد المجيد السامراني، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، م.س، ص٣٤
[١٠] المرجع السابق، ص ٣٩.

يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[١١]. مما قد ترتب على ممارسات جماعات العنف وصم الدين الإسلامي بالإرهاب، وصارت أفعالهم الإرهابية أبلغ دعوة ضد دين الإسلام، وما ترتب عليه من كره ما هو إسلامي وعربي، في حين أن العلماء الإجلاء المعتدلين بينوا فضل الإقامة في بلاد غير المسلمين، إذ يُرجى من وراء إقامته دخول غيره في دين الإسلام، فلم يفهم هؤلاء المتطرفون أن تقسيم البلاد لدار كفر ودار إسلام ودار حرب، قد زال بوجود النظام العالمي والمعاهدات والمواثيق والعلاقات الدولية[١٢]، فالشهادة في سبيل الله تكون وأنت تقوم بتبليغ دعوته بالحسنى وليس بالقتل والدمار.

٢- **مظاهر التطرف الديني وأشكاله:**

ذكرنا سابقًا أن من أسباب التطرف الديني الجهل والفهم الخاطئ لبعض النصوص الدينية، **ومن مظاهر هذا التطرف التعصب والتشدد على النفس، والتشديد على الغير في غير محله**، وإلزامهم بما لم يلزمهم الله به، في حين أن الإسلام دين اليسر وليس العسر، **ومن مظاهره الغلظة والخشونة** في التعامل، مستشهدين خطأ بآية نزلت في حالة الحرب مع الأعداء ﴿**وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾[١٣]، متناسين أن الغلظة والفظاظة في التعامل تؤدي إلى التنفير من الدين، وكراهية أهل التدين، ظنًا منهم أن التشدد من مقتضى الصدع بالحق والانتصار له، متجاهلين أثر اللين في أخلاق رسول الله ﷺ وصحابته الكرام[١٤]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ..**﴾[١٥]، **ومن مظاهره أيضًا سوء الظن بالناس**، والتساهل في غيبتهم، وذلك بالنظر إليهم من منظار أسود، واستبعاد أن يكون ظاهر أفعالهم على خلاف مقاصدهم أو نياتهم، فيجعلون من أخطاء الناس خطيئة، ومن الخطيئة كفرًا، في حين أن من أخلاق الإسلام

---

[١١] النساء: ٦٩.
[١٢] د. إبراهيم الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، م.س، ص ٣٦
[١٣] التوبة:١٢٣.
[١٤] د. عبد المجيد السامرائي، التطرف الديني في ميزان الاعتدال، م.س ص ٦٧ / أيضًا على محيي الدين القره داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الارهاب، م.س، ص ١٤٩
[١٥] آل عمران: ١٥٩.

حُسن الظن بهم والتماس الأعذار[١٦]، وهم بهذا على خلاف تعاليم الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[١٧]، **هذا إلى جانب تغليب نزعة الولاء والانتماء للجماعة التي ينتمون إليها، وليس للدين أو للوطن الذي يعيشون فيه ويدافعون عنه**، ويجب ألّا يكون الولاء لأي جماعات ولا حتى للأفراد، فكل من يحمل هذه النزعة دائمًا ما يحاول الحكم على الجماعات الأخرى بالضلال أو بالكفر[١٨]، **أما من أخطر مظاهره هو السقوط في هاوية التكفير للآخر**، واستباحة دماء الناس من غير توثيق أو برهان، فباطن الناس لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يجوز بناء أحكام تكفيرية لمجرد الظن[١٩]، قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا...**﴾[٢٠].

ومع ذلك نجد بعض المغالين والمتطرفين لا يترددون في إصدار الأحكام، حتى لو شملت تكفير المسلمين، لذلك فإن الفكر التكفيري يُعد من أخطر مظاهر التطرف، وأصحابه من أكثر الجماعات تطرفًا[٢١]، والمتطرف هو الذي خالف الدين وأحكامه وابتدع فهمًا جديدًا لتحقيق مآرب شاذة، فالجهل بمبادئ ومتطلبات الدعوة إلى الله وبأحوال الناس هو من أكبر أسباب الوقوع في التشدد، خصوصًا إذا ظن المتشدد أن ما يفعله هو الصواب فيغتر بفعله ويخاصم من أجله.

ونظرًا لما تعرض له الإسلام والعالم أجمع من فهم هذه الجماعات المتطرفة لبعض مفاهيم النص القرآني وتشددهم في تفسيره وخاصة مفهوم الجهاد، فإننا سوف نتناوله بشيء من التفصيل، كما سنوضح موقف الصوفية منه، وهم كما نعلم يمثلون إحدى جماعات الإسلام المعتدل.

---

[١٦] د. فاروق السامرائي، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، ص ٧٥.
[١٧] الحجرات: ١٢.
[١٨] انظر: د. فاروق عبد المجيد السامرائي، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، ص٥٣:٥٧
[١٩] د. علي محيي الدين القره داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الارهاب، م.س، ص١٤٨:١٤٩ بتصرف.
[٢٠] النساء: ٩٤.
[٢١] د. فاروق السامرائي، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، ص ٧٧:٧٩ بتصرف.

**٣- الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد وكيفية استخدام جماعات التطرف له:**

**فمن أخطر أشكال التطرف الديني على العباد والبلاد هو الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد، وتطبيقه:** حيث تقوم أيديولوجية العديد من التنظيمات التكفيرية الإرهابية على فهم معوج لمجموعة من الأحكام المرتبطة بعدد من المفاهيم، كالجهاد والهجرة، ودار الحرب ودار السلام، وهي مفاهيم وقضايا مرتبطة ببعضها البعض، فتقسيم العالم لدار حرب ودار سلام يستتبع أحكامًا تتعلق بالهجرة والجهاد؛ حيث ظهرت جماعات التطرف بداية من الإخوان المسلمين بقائدها حسن البنا ومن بعده سيد قطب وصولًا لجماعات التكفير والهجرة، وجماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية (داعش).

هذا وتعتبر جماعة الإخوان المسلمين هي مركز انطلاق الأفكار الراديكالية الأصولية، حتى أن تأثيرها الروحي والسياسي قد امتد إلى كل البلاد العربية تقريبًا، وكانت دعوتهم خلفًا مباشرًا لحركات الجمود السابقة عليهم والتي أرساها ابن تيمية وابن عبد الوهاب[٢٢].

فمن بين شعارات الإخوان المسلمين التي يرددونها في محافلهم: «الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا،...وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة،..الموت لا يكون إلا مرة واحدة فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة»[٢٣].

كما اشترط عند أخذ البيعة على الإخوان الإقرار بضرورة الجهاد، والتجرد من كل ما لديه من مبادئ وأشخاص وأفكار قد تأثر بها أو بهم في الماضي، لأن فكر الجماعة هو أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها على الإطلاق، فهو يحمل الحقيقة المطلقة ولا حاجة لأي فكرة سواها حيث يقول البنا: «**أيها الإخوان الصادقون، أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها: الفهم، الإخلاص، العمل، الجهاد، التضحية، الطاعة، الثبات، التجرد، الأخوة والثقة ..وأنت بإنضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة،**

---

[٢٢] ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٩م، ص١١٩

[٢٣] انظر: حسن البنا، رسائل حسن البنا، الجهاد فريضة على كل مسلم، دار الفتح للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٦٦

**تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث، فقدر التبعة التي التزمتها، وأعد نفسك للوفاء بها»**[٢٤].

**هذا إلى جانب التعويل على العنف** والقوة كأسلوب لتحقيق أهداف الجماعة، ليس هذا فحسب بل إنه استباح لنفسه استخدام النصوص الدينية السمحة في غير مفهومها الأخلاقي وحملها معاني الخسة والكذب والانتقام تأكيدًا لرسالته الممجوجة بالحقد والكراهية، استمع إليه يقول: «**ومن الجهاد في سبيل الله أيها الأخ الكريم، أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة ولا معاملة ولا مواكلة ولا مشاربة**»[٢٥]، وتعتبر السرية أسلوبًا لتحقيق غايتهم، حيث تأسيس جهاز مدرب عسكريًّا ليتغلغل في صفوف العسكريين ورجال الشرطة لإحداث انقلاب عسكري وتسهيل الوصول للحكم، فبادر بتشكيل نظام سري لإعداد الأعضاء عسكريًّا توطئة للاستيلاء على الحكم، وذلك تحت ستار ممارستهم الرياضة البدنية، فشرع بجواز الاغتيال السياسي[٢٦] لمن أعان على قتال المسلمين سواء بيده أو بماله أو بلسانه، فما أن شعر "البنا" بقدر من القوة حتى يكشف الستار عن دعوة الجهاد ويبدأ السلاح والمفرقعات والاغتيالات كأدوات لتعبير الجماعة عن مواقفها[٢٧]، وهنا ظهرت خطورة جماعة الإخوان المسلمين حيث أصبحوا شبه دولة داخل الدولة.

**ثم خرج علينا سيد قطب من رحم البنا، فقرر أنه لا مساومة مع المجتمع الذي يصفه بالجاهلي بنظامه وحكامه ومحكوميه، ورفض كل ما هو قائم باعتباره جاهليًّا، أيًّا كانت الأفرع والأوراق والثمار، ومن ثم حكم «بتكفير الحاكم» لأن نظام حكمة جاهلي ولا يحكم بما أنزل الله**[٢٨]، مؤكدًا أنه إذا كانت الجماهير (وهي عموم المسلمين) تؤيد الحاكم

---

(٢٤) انظر: رسائل حسن البنا، مرجع سابق، (دعوتنا) ص١١، (لا بد من أن نتبع) ص٤٧، (أيها الإخوان الصادقون من) ص٣٥٥ إلى ٣٦٨.

(٢٥) المرجع السابق، ص ٣٤٣ (في الجهاد عزنا).

(٢٦) فتم اغتيال محمود فهمي النقراشي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م، ردًا على قرار حل جماعة الإخوان ٨ ديسمبر١٩٤٨م – انظر حسن صادق المحامي، جذور الفكر الإسلامي في الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣٦ : ٢٣٨.

(٢٧) انظر: رسائل حسن البنا، مرجع سابق، رسالة المؤتمر الخامس، فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعاني الإصلاحية، ص ١٥٨:١٥٩.

(٢٨) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ط١١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٣.

الكافر وتساند حكمه، فنحن رغم قلة عددنا أفضل وأكثر أهمية بل وأقوى لأننا أقرب إلى الله، وهو ما يتلخص عنده بفكرة «الاستعلاء بالإيمان»[٢٩].

**وبذلك يرتبط مبدأ «الحاكمية» عنده بمبدأ «الجهاد»، حيث يؤكد أن قيام مملكة الله في الأرض وإزالة مملكة البشر لا يتم بمجرد التبليغ والبيان**[٣٠]، فخرج بمبدأ الجهاد عن مدلوله في الإسلام، حيث عوَّل على «الإكراه في الدين»، ومجاهدة غير المسلمين والمسلمين على السواء باعتبارهم أهل جاهلية[٣١] قائلًا: «**كلا والله: إن هذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، ولا يصلح إلَّا بعمل وكفاح، ولا بد لهذا الدين من أهل يبذلون جهدهم لرد الناس إليه، ويرد المغتصبين لسلطان الله عما اغتصبوه من هذا السلطان، ولإقامة شريعة الله في حياة الناس وإقامة الناس عليها**»[٣٢].

وعلى ذلك تحدث سيد قطب عن أولوية مبدأ الجهاد في سبيل الله كوسيلة لهدم المجتمع الجاهلي وبناء المجتمع الإسلامي، بل ويؤكد على كون الجهاد فريضة غائبة تلزم كل مسلم حق، حتى يقوم المجتمع الإسلامي، وهو هنا لا يحصرها في نطاق جغرافي أو قومي، بل تمتد إلى كل بقاع العالم التي لا تقيم شريعة الله، وفق رأي سيد قطب، فالجهاد عنده هو نضال لفرض حاكمية الله وتطبيقها على العالم كله وعلى الفرد والمجتمع وعلى مستوى الحياة اليومية، وبذلك يكتسب الجهاد عند سيد قطب معنى هجوميًّا وليس معنى دفاعيًّا حتى يزيل الأنظمة القائمة[٣٣].

**ولا شك أن هذه الأفكار المضطربة التي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وسماحته في الدعوة بالتي هي أحسن، رغم قبحها وفجاجتها إلا أنها ظلت دستورًا ومرجعية لمعظم الحركات الأصولية الراديكالية المتطرفة**، والتي كانت النشأة الأولى لها بالسجون في فترة الستينيات، وظلت محتفظة بظلال أفكاره الإرهابية حتى الآن، فكانت

---

(٢٩) د. رفعت السعيد، الإسلام السياسي من التطرف إلى مزيد من التطرف، دار الثقافة الجديدة، اكتوبر، ١٩٨٩م، ص٢٧.

(٣٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، دار الشروق، القاهرة ،٢٠١٣م، ص١٤٢.

(٣١) د. محمود إسماعيل، الفكر الإسلامي الحديث بين السلفيين والمجددين، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٨٤.

(٣٢) سيد قطب، المرجع السابق، ج٧، ص٩٩٣

(٣٣) هالة مصطفى، الإسلام السياسي في مصر، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٠٥

أفكار سيد قطب بمثابة حلقة الوصل الأساسية بين جماعة الإخوان وجماعات التكفير والجهاد، حتى نستطيع القول أنه أشرف على عملية تحول الجيل من أصولية الإخوان إلى تطرف الشباب في السبعينيات[٣٤].

وقد نشأت هذه الجماعات المتطرفة من رحم جماعة الإخوان المسلمين متبنية فكر سيد قطب المتطرف، ومن أهم هذه الجماعات: **جماعة التكفير والهجرة، وجماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية**، وإن اختلفوا في النهج والرؤية والنشاطات العملية لاختلاف الظروف والملابسات؛ ويرى أصحاب هذه الجماعات ضرورة معارضة الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية، إلى حد يصل بهم إلى حمل السلاح ضده للتخلص منه[٣٥] ومن نظامه ما دام مُصِرًا على إبعاد الشريعة (بمفهومهم التطرفي التعصبي لها) عن الحكم[٣٦].

هذا ويعتمد أكثر هذه الجماعات على فكرة «الإحياء» و«النصية» و«الحاكمية الإلهية» وتكفير الخصوم، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وتدعو إلى إقامة دولة «ثيوقراطية»، مدعية جهل المجتمع، ووصفه بالجاهلية ومن ثم إجراء أحكام الجاهلية عليه من التكفير ووجوب القتل وغيرها من البشائع، وأن الإصلاح سيأتي بعد تأسيس هذه الدولة تلقائيًّا، معولين على المفهوم الخاطئ للجهاد وتقسيم المجتمع لدار حرب ودار سلام[٣٧]، وكلها من أفكار سيد قطب المتطرفة كما سبق وبينا.

**تحول مفهوم الجهاد إذن عند جماعة الإخوان من مفهوم إيجابي دفاعاً عن النفس والدين والوطن إلى مفهوم إعلاء ثقافة الموت على ثقافة الحياة، وأن الموت هو وسيلة المؤمن الحق في الدنيا والآخرة كما يزعمون، ولم يضعوا في اعتبارهم أن الله استخلف الإنسان في هذه الحياة ليعمرها لا ليدمرها أو يحرقها، ولكن للأسف سار على**

---

(٣٤) ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، مرجع سابق، ص١٣٤

(٣٥) معتبرين أن إقامة الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية لن تتحقق إلا بالجهاد ومحاربة الحكام الذين يطبقون أحكام الكفر وإباحة دماء من يحكم بغير شريعة الله، وكان أسلوب الاغتيالات هو وسيلتهم في ذلك. فتم اغتيال وزير الأوقاف الشيخ الذهبي عام ١٩٧٧م، واغتيال الرئيس السادات ١٩٨١م، مبررين هذه الاغتيالات بفتوى ابن تيمية «كل طائفة خرجت عن شريعة الإسلام الظاهرة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن نطقت بالشهادتين، والتي كان يعتمدها سيد قطب في كل مقولاته والتي راجت في أوساط الجماعات الإسلامية الراديكالية بعد ذلك وفي أسلوبهم المسلح وأسلوب الاغتيالات»، انظر: إبراهيم أعراب، الإسلام السياسي والحداثة، بيروت، لبنان، د. ت، ص٦٣

(٣٦) علي عبد العال، السلفيون في مصر «المنطلقات الفكرية والتطور التاريخي»، تحقيق: عمار علي حسن، مركز النيل للدراسات الاقتصادية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٣٧

(٣٧) انظر د. إبراهيم الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، م.س، ص ٢٦:٣٤، ٨٨

**منوال هذه الجماعة العديد من الجماعات المتطرفة كجماعة التكفير والهجرة وأميرها هو «شكري مصطفى»** الذي أسسها عام ١٩٧٧م، بعد خروجه وكثير من الإخوان من السجون والمعتقلات، فتعمق في دراسة فكر الإخوان المسلمين عمومًا، وفكر سيد قطب والحاكمية والجاهلية الثانية خصوصًا، مضيفًا إليهم مقولتي التكفير والهجرة واعتبر جماعته هي «جماعة آخر الزمان» المنوطة بوراثة الأرض عن طريق الجهاد، والجهاد لا بد أن تسبقه الهجرة كما حدث في زمن النبي ﷺ.

واعتبر شكري مصطفى أن مصر هي التي يجب أن ينطلق منها الجهاد ويستمر خارجها في دار الحرب، حتى تتحقق إرادة الله في نصرة الإسلام والقضاء على دول الكفر، وأداته في ذلك هي السيف والفئة القليلة المؤمنة، **معتمدًا على مقولة سيد قطب: «ينقسم العالم في نظر الإسلام وفي اعتبار المسلم إلى قسمين لا ثالث لهما: الأول دار الإسلام، وتشمل كل بلد يطبق فيه أحكام الإسلام وتحكمه الشريعة الإسلامية ....والثاني هو دار الحرب، وتشمل كل بلد لا يطبق فيها أحكام الإسلام ولا يحكم بشريعة الإسلام كائنًا أهله ما كانوا»**[٣٨].

ولا شك أن مثل هذا التصور يمثل أشد الخطورة حيث نبعت منه كل التيارات التكفيرية المتطرفة، والتي قامت بتصوير الإسلام بأبشع صور العنف التي تمثلت في قتل وإراقة دماء المخالفين وظهرت تنظيمات مثل داعش والقاعدة وغيرهما، متخذين في إراقة الدماء تحت رآية (لا إله إلا الله منهج حياة).

**ثم اشتدت هذه الجماعات في تطرفها لتعلن عن المزيد من العنف وعدم التهادن مع الحكام معلنة صراحة عن تطرفهم قائلين بأن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف، ثم ظهرت السلفية الجهادية أو جماعة الجهاد بقيادة الشيخ عمر عبد الرحمن،** وهو تيار جديد يحمل لواء العنف، وسبب قوة هذا التيار أنه يستمد قوته من التيار السلفي عمومًا في مصر بشكل عام، فهو جزء منه ولكن بمسحة جهادية، وهي ترفض أي أفكار تدعو لنبذ العنف؛ فهم يرون أن ما يمارسونه، ليس عنفًا وإنما جهاد في سبيل الله ضد

[٣٨] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٢٥، ص٨٧٣

المرتد والكافر[٣٩]، وعمر عبد الرحمن هو صاحب كتاب «**الفريضة الغائبة**» ويقصد بها الجهاد، الذي أهدرته النظم الحاكمة وبعدت عن الشريعة الإسلامية، لذا وجب مجاهدتها لرفع صرح الإسلام من جديد، لذا وجب الخلاص من الحكام الطواغيت الخاضعين للأجنبي الكافر، وذلك لتأسيس عالمية الإسلام متمثلة في دولة إسلامية عظمى (ثيوقراطية) لتواجه دار الحرب، وترغم سكانها على اعتناق الإسلام أو دفع الجزية[٤٠].

**وقد انقسم أصحاب هذه الجماعة لفريقين:**

أ- الأول عرف باسم «**الجماعة الإسلامية**» وهؤلاء أصبحوا على علاقة وطيدة بتنظيم القاعدة، حيث رأوا ضرورة بدء الجهاد من الخارج وربطوا نشاط الجماعة بجميع الاتجاهات والتنظيمات الأصولية الخارجية لتحقيق الأهداف والمقاصد، حتى لو استعانوا بالقوى الخارجية لدعمهم، وهذا هو التناقض، إذ أنهم يحاربون الحكام لأنهم يتعاونون مع الاستعمار وهم في الوقت نفسه يتعاونون معه.

ب- والفريق الثاني رأى ضرورة الجهاد من الداخل، ولكن مع عدم فقد صلتهم بالمجاهدين في الخارج لتمويلهم بالسلاح والعتاد، وهؤلاء ركزوا نشاطهم على المؤسسات القبطية، ومحلات الصاغة واستحلال الأموال والأرواح، وتعددت أسماء هذه الجماعات كما تعدد أمراؤها وأقطابها ونذكر منهم جماعة أنصار الشريعة المنبثقة من الجمعية الشرعية، جماعة أنصار بيت المقدس وغيرها... الخ[٤١].

وعلى ما سبق نجد أن المتشددين قد اختزلوا مفهوم الجهاد في الحرب والدمار والقتال، وغاب عنهم أن مفهوم الجهاد المتسع يكون بالقلب وبالدعوة إلى الله، وهداية الخلق، وبر الوالدين، كما صحت بذلك الأحاديث، **وأن الجهاد القتالي نوعان: جهاد الدفع**، ويكون إذا اجتاز العدو بلاد المسلمين فوجب على الجميع قتاله؛ **وجهاد الطلب:** وقد

---

[٣٩] انظر منير أديب، الجماعات الإسلامية والعنف العودة إلى العمل المسلح، أوراق للنشر والتوزيع، الجيزه، ٢٠١٣م، ط١، ص٢٦، ص٨٩ وما بعدها عن السلفية الجهادية

[٤٠] د. محمود إسماعيل، الفكر الإسلامي الحديث، مرجع سابق، ص٩٣

[٤١] يرجع التطور العنيف للجماعات الإسلامية لقدرة تنظيم القاعدة على توظيف التطورات التقنية في الاتصالات والمعلومات في التنظيم والتخطيط والتجنيد والتعبئة وإدارة العمليات، مما أدى إلى جذب عناصر شبابية جديدة للحركة الراديكالية سواء من السعودية أو الإمارات والكويت ..الخ، وكانت هذه الأجيال الجديدة تنتمي إلى مجتمعات ميسورة نسبيًا ومن أسر ذات الفئات الوسطي، ولديها مطالب رمزية وسياسية، وتشعر بالغضب إزاء الصفوة الحاكمة وعلاقتها بالولايات المتحدة والغرب. انظر: نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان الصراعات وضرورات الإصلاح، دار ميريت للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٩١:٩٢.

زالت الحاجة إليه في زماننا، حيث كان جهاد الطلب- وهو مداهمة العدو في أرضه- المقصود منه بلاغ رسالة الإسلام إلى العالمين، وقتال من يقف في وجه بلاغها، فقد شُرع لدرء الحرابة لا لإزالة الكفر، فلو كان جهاد الطلب لإزالة الكفر لما أبقي وحافظ الإسلام على غير المسلمين في البلاد المفتوحة[٤٢]، لذا فإنه من الضروري البدء بتحرير تلك المفاهيم بالاعتماد على نصوص الكِتاب والسُّنة وما استقر عليه علماء الأمة المعتبرون ومؤسساته الفقهية الوسطية الرصينة، بل أيضًا لا بد وأن يكون للمنظمات والجماعات الصوفية دورها في تهذيب تلك النفوس الشيطانية بدعوتها الروحانية المسالمة، التي تعتمد على تأسيس منظومة القيم السلوكية الأخلاقية التي تهذب النفوس وترقق القلوب وتتعامل مع الآخر بالحسني والموعظة الحسنة، وهذا ما سنوضحه بالتفصيل في دور تلك الجماعات والطرق في مواجهة أساليب التطرف والعنف والإرهاب.

**وإذا كنا قد عرضنا لمفهوم الجهاد عند هذه الجماعات المتطرفة وكيف انحرفوا به عن مفهومه الديني الصحيح، فما رؤية الصوفية لهذا المفهوم؟ وكيف تعاملوا معه وشكل أيديولوجيتهم؟**

**٤- مفهوم الجهاد وموقف الصوفية منه**

**التعريف بالجهاد لغة واصطلاحًا:**

**الجهاد لغة:** مصدر جاهد يجاهد، وأصله من الجهد، بمعنى الطاقة، وبمعنى بذل كل ما في وسع الإنسان للوصول إلى غاية، سواء كان هذا البذل قولًا وفعلًا، والجهاد هو: محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل[٤٣].

ويقول الجرجاني في التعريفات: الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق[٤٤].

---

[٤٢] د. إبراهيم الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، م.س، ص ٣٤

[٤٣] انظر لسان العرب، مادة جهد، المعجم الوسيط ١٤٥/١

[٤٤] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٧٢

**الجهاد في الاصطلاح:** هو أعم من القتال، حيث استعمله القرآن الكريم في الجهاد الإعلامي ونشر الإسلام، ببذل الوسع والطاقة في سبيل الله سواء بالنفس أو بالمال أو باللسان أو بالرأي أو بالدعوة وإقامة الحجة وبيان الحق وإزالة الشبهة ونحو ذلك[٤٥].

فإذا كان الجهاد في اللغة يعني المبالغة في الشيء واستفراغ الوسع والطاقة في الحرب أو اللسان أو غيرهما فإنه في الشرع يعني قتال الكفار، فالأمر لا يتعلق بمجرد تمييز بين معنى لغوي وآخر اصطلاحي بل الأهم أن يتعلق بالتمييز بين مفهوم الجهاد ومعانيه، فمفهوم الجهاد واحد ومعانيه متعددة[٤٦].

فالجهاد من الجهد ومنها اشتقت كلمة الاجتهاد: وتعني استفراغ الفقيه جهده في الأدلة الشرعية ودلالاتها للوصول إلى حكم شرعي، **قال الإمام الغزالي:** «الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود، واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد، وفي عرف العلماء مخصوص ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة[٤٧].

**ويقول الإمام القشيري:** «المجاهدة: أن لا تدع ميسورًا إلا بذلته ولا تترك مأمورًا إلا نازلته. ويقال بذل الجد في القصد وصدق الجهد في العهد، أو يقال: خلع الراحة وأن يكسر من القلب جماحه»[٤٨].

ونقل الإمام القشيري قول أبي سعيد الخدري، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد، فقال: «كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»، فدمعت عينا أبي سعيد[٤٩].

ويقول: وأعلم أن أصل المجاهدة وملاكها: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات[٥٠].

---

(٤٥) د. علي محيي الدين القره داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٨م، ص ٢٢٦.

(٤٦) د. محمد الرحموني، الدين والإيديولوجيا، جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية، تقديم: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ٢٩.

(٤٧) أبو حامد الغزالي، المستصفي من علم الأصول، اعتناء د. ناجي السويد، المكتبة العصرية، د. ت، ص ٢٩٣.

(٤٨) أبو القاسم القشيري، أربع رسائل في التصوف، كتاب منثور الخطاب في مشهور الأبواب، تحقيق قاسم السامرائي، دار الفرات للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان،٢٠٠٨م، ص ٩٢.

(٤٩) أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ١٦٢

فالجهاد بهذا المعنى لا ينحصر في القتال في سبيل الله وحسب؛ بل هو شامل له ولغيره من كل ما فيه من بذل ومشقة موجهة ضد الأعداء ما دام في سبيل الله، فإذا كان الأعداء في نظر الإسلام لا ينحصرون في الناس الكفرة، فكذلك الجهاد لا يكون محصورًا في قتالهم، بل هو يشمل جهاد الشيطان والنفس، وجهاد النفس داخليًّا مقدم على جهاد العدو في الخارج، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أُمرت به. وتترك ما نُهيت عنه لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج[٥١]، سواء كان هذا الجهاد بالمال أو بالنفس، أو بالعلم والحجة والبرهان، والقلم والبيان، فقد كان الجهاد في مكة بالعلم والبيان فقط، وفي المدينة بجميع أنواعه، ولكنه كان للدفاع عن النفس والدين[٥٢].

فالقتال في الإسلام لم يشرع إلا دفاعًا عن النفس والمال أو العرض، والعقيدة الإسلامية تمنع إكراه الناس على اعتناقها لقوله تعالى ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[٥٣]، فسيف الإسلام لم يشهر في وجه المستضعفين، إنما في وجه الذين يستعبدون الشعوب إذا دعت الحاجة لذلك[٥٤].

**ومن أعظم أنواع الجهاد جهاد التربية:** فبالإضافة إلى جهاد الحجة والبرهان في العهد المكي[٥٥]، كان جهاد التربية الذي كان الرسول ﷺ يشرف عليه بنفسه، ليغرس في قلوب أصحابه الإسلام الحقيقي وهو أعظم أنواع الجهاد، فقد ربَّى ﷺ الرعيل الأول بالقول والفعل والتطبيق والأسوة الحسنة على الإيمان القوي، تاركين وراءهم ما كان في الجاهلية، حتى تصبح قلوبهم خالية من كل شبهة، أو ريبة، ثم تُملأ بالعقيدة الحقة

---

[٥٠] المرجع السابق، ص ١٦٣

[٥١] د. محمود محمد محمد عمارة، الجهاد مفهومة وضوابطة، مطابع التوحيد الحديثة، ط١، القاهرة،٢٠٠٤م، ص١٤

[٥٢] علي القرة داغي، اسلام الرحمة وظاهرة الارهاب، م.س، ص ٢٢٩

[٥٣] البقرة: ٢٥٦.

[٥٤] د. محمد أحمد درنيقه، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، دار جروس برس، ط١، طرابلس، ليبيا،١٩٩٤،ص٨

[٥٥] فقد جاء الإسلام بعقيدة حقة بعيدة عن عقائدهم الباطلة، وكذلك مبادئ في العبادة والسلوك والعلاقة بين الناس تختلف عما رسخ في عقولهم، فكان (ص) يواجههم بالحجة والبيان، ولكنه كان جهادًا شاقًا حيث إنهم قوم معروفون بالبيان والشعر، ولم تكتف قريش بالمساومة والتعذيب والإهانة النفسية بل تعدت إلى الحصار والمقاطعة لكل من دخل في هذا الدين، ولكن المسلمين صبروا والذي أعانهم على ذلك إيمانهم الشديد بما في القرآن الكريم وما فيه من شفاء بالإضافة إلى شخصية الرسول (ص) وقدوته لهم، انظر علي القرة داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، ص ٢٣١

والأخلاق العظيمة، فربىَّ عقولهم، ووجدانهم، وسلوكهم، وأفكارهم[٥٦]، وكذلك كان الجهاد في العهد المدني يمثل دعوة لتنظيم المجتمع، إلى جانب العقيدة والتربية والدعوة، أما القتال في سبيل الله فكان لمن قاتلهم أولًا لأجل الدفاع عن النفس، والدين والدولة، والمظلومين، فالأصل أن القتال كان محظورًا وأن الأصل هو السلم والسلام، ولما أُذن بالقتال كان لدفع الظلم الشديد الذي وقع على المسلمين، وأخرجهم من ديارهم، يقول المولى سبحانه: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ...**﴾[٥٧]، فما شرع القتال إلا لتحقيق الحرية الدينية لجميع أهل الأديان، فهذا هو الجهاد الذي شرعه الله تعالى لرد العدوان والدفاع، ولتحقيق الحرية للجميع[٥٨].

**وفكرة التربية هي أساس المنهج الصوفي**؛ لأنها تعني تحول المعرفة إلى سلوك على مستوى الفرد، وبث المعرفة والسلوك من الأنا إلى الآخر، من الفرد إلى المجتمع، وبهذا تكون التربية إحدى أهم الطرق العملية في تنمية المجتمع وتطوره، وهي طريقة الأنبياء، يقول المولى ﷻ ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[٥٩]، والتربية مسئولية واهتمام شيوخ أو أقطاب الصوفية بالمريدين، اقتداءً بالنبي الذي كان كثير الاهتمام بأمته، وإذا كانت حقيقة كل رسول هو مجموع أمته، فكذلك الشيخ حقيقته تلاميذه ومريدوه، والسالكون على يده يلتمسون الوصول إلى الحقيقة[٦٠].

**موقف الصوفية من الجهاد:**

إذا كان التصوف يمثل حالة فردية يمارسها صاحبها لمجاهدة نفسه الأمارة بالسوء وليكون مثلًا وقدوة يحتذى به، وإذا كانت الجماعات والطرق الصوفية تحاول أن يكون لها دور إيجابي جماعي لنشر المُثل والقيم الأخلاقية الصحيحة كما دعا إليها الإسلام

---

[٥٦] علي القرة داغي، اسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، م.س، ص ٢٣٢

[٥٧] الحج: ٣٩:٤٠

[٥٨] علي القرة داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، م.س، ص ٢٣٣

[٥٩] الجمعة: ٢

[٦٠] د. سيد حافظ عبد الحميد، التصوف العملي والمشروع الحضاري عند عبد القادر الجزائري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٢١.

وطبقها رسولنا الكريم قولًا وفعلًا وسلوكًا، بحيث يساعد ذلك على أن تجمعهم أيديولوجيا روحية أخلاقية وتتمثل في سلوكهم العملي الصوفي، فلا شك أن مفهوم الجهاد عندهم سوف يحمل مدلولات إيجابية سلمية تتفق مع منهجهم في مجاهدة النفس من آفاتها وشرورها، ومحاولة العيش بمبدأ التعاون والمحبة والتسامح مع الجميع دون إفراط أو تفريط، والنظر إلى الجميع وفق مبدأ الإنسانية المتحابة المتعايشة في سلام مع الجميع.

وقد يعتقد البعض أنه وفقًا لهذا المنهج المتسامح فإن الصوفية يقتصرون فقط على هذا الجانب أو على جهاد النفس وتزكيتها فقط، مما يجعل مفهوم الجهاد قاصرًا لا يشتمل على جميع معانيه وجوانبه لدى المؤمن، وهو الجهاد في ميادين الحرب، لإعلاء كلمة الله تعالى، ولكن بالنظر للمعنى العام للجهاد في الشريعة الإسلامية كما استعمله القرآن الكريم والسُّنة النبوية نجد أن الإسلام قيد الجهاد بأن يكون في سبيل الله تعالى ومن أجل إعلاء كلمته، وتحقيق مطلبه سبحانه في حياة الإنسان، فيكون بهذا المعنى مشتملًا على جهاد النفس وأهوائها، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أهل المنكر وهم الظالمون والفاسقون[٦١]، فالاستقامة على الكِتاب والسُّنة تعني الجمع بين النظر والعمل، بمعنى تفعيلهما وإعمال ما يتضمنانه من علوم ومبادئ وقيم تتمركز كلها حول الإنسان وعمارة الأرض، والاستقامة ظاهرًا وباطنًا على الطاعات[٦٢]، والصوفي الصادق هو الذي يدعو إلى التزام الشريعة في كل أحواله وأعماله يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[٦٣]، وفي الوقت نفسه إبعاد تهمة التكاسل والانكفاء على النفس وخلق الحيل الهروبية والتقاعس عن الجهاد لأنه يتنافى في المجمل عن أخلاق الصوفية عامة.

ومن المعلوم أن **جهاد النفس** هو أشد أنواع الجهاد وأصعبها وأدومها، وهو جهاد في كل أحوال النفس، وهو جهاد بالفكر والذكر والصوم والصبر، وكل أسباب التقوية

---

(٦١) د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، م.س، ص ٩، أيضًا: صديق القنوجي، العبرة مما جاء في الجهاد والشهادة والهجرة، تحقيق: محمد زغلول، بيروت، لبنان،١٩٨٥م، ص ١٥، أيضًا: جلال الدين السيوطي، أربعون حديثًا في فضل الجهاد، تحقيق مرزوق إبراهيم،دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٩: ٢٠.

(٦٢) د. سيد حافظ عبد الحميد، التصوف العملي والمشروع الحضاري عند عبد القادر الجزائري، ص ١٧

(٦٣) العنكبوت:٦٩

الروحية التي يمارسها الصوفي في مقاماته وأحواله، وهو جهاد يستدعي اليقظة، والوعي بمواطن الضعف وعلوم الحلال والحرام وأوامر الله ونواهيه[٦٤]، وبدون هذا الجهاد الذي يزكي النفس ويصفي الروح تضعُف إرادة الإنسان أمام أي هزيمة حتى لو كانت عسكرية، فقد انهزمت نفسه من قبل، والصوفي الحقيقي هو الذي يهتم بتصفية نفسه وتزكيتها[٦٥]، ولذلك برز مفهوما الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، معتمدين على حديث رسول الله عند عودته من إحدى غزواته: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال: «جهاد النفس»، فجهاد الإنسان هواه عند الصوفية هو الجهاد الحقيقي والكبير، وهو ركنٌ أساسي في الطريق الروحي، وكل المجاهدات والرياضات التي يلجأ إليها الصوفي حتى يُصفي باطنه من الوساوس والأخلاق الذميمة، والتحلي بكل ما هو حميد وفاضل مقصوده محبة الله تعالى، ولكن هذا لا يعني أنهم يتخاذلون عما اسموه الجهاد الأصغر، بل العكس فالجهاد الأكبر هو تهيئة عظمى للجهاد الأصغر وحتى يكون خالصًا في سبيل الله بعيدًا عن الأهواء والمطامع الدنيوية، فعلى سبيل المثال نجد في كتابات محيي الدين ابن عربي– وقد عاصر الحروب الصليبية مع المسلمين– يقول في كتابه الوصايا: «وعليك بالجهاد الأكبر، وهو جهاد هواك،... فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قُتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون. واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله واحذر إن لم تغزُ أن لا تحدث نفسك بالغزو»[٦٦].

**ويرتبط مفهوم الجهاد عند الصوفية الأوائل بحركتين أساسيتين وهما: الفتوة والمرابطة.**

**الفتوة:** مشتقة من الفتي الشجاع ذو المقام المرموق، وأُطلقت على الصوفية الشجعان الذين يبذلون الغالي والنفيس لمساعدة المعوزين، وإغاثة الملهوفين، ونجدة المحتاجين[٦٧].

---

[٦٤] حسن أيوب، الجهاد والفدائية في الإسلام، دار الندرة الجديدة، بيروت، لبنان،١٩٨٣، ص٣٢

[٦٥] د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، م.س، ص١٠.

[٦٦] محيي الدين بن عربي، الوصايا، دار الإيمان للنشر، ط٢، دمشق، سورية، ١٩٨٨م، ص ٦٩

[٦٧] محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ٢٤١

**أما المرابطة:** فمشتقة من الرباط، وتعني ملازمة الثغر للجهاد، حيث يرابط خيل المجاهدين كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾(٦٨)، كما أنها تُفيد انتظار الصلاة بعد انقضاء صلاة سابقة عليها كما في قوله ﷺ: **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(٦٩)، وهذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم. والرباط يعني الاستقرار والتمدن وتهذيب الأخلاق وترك المعاصي(٧٠).

ألم تكن كل هذه المعاني هدف الرسول في هجرته وحروبه؟ فالرباط أصبح يحمل معنى البيت الذي يجمع أهل التصوف والذي تملأه الأذكار والتربية الصوفية فالصوفي المرابط يرابط في سبيل الله لإخافة الأعداء وحماية الديار وصيانة الثغور، فكلمة المرابط تعني الصوفي الفعلي المحارب الذي أتقن فنون القتال، واستعمال مختلف أنواع الأسلحة الممكنة في عصره، وبذلك تكون قد استعملت لتدل على المعنيين فهي مكان أو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والعباد استعدادًا للجهاد في سبيل الله وتكونت منهم بعد ذلك دولة المرابطين بشمال إفريقيا وكانوا من أشد القبائل دفاعًا عن الإسلام(٧١).

والطرق الصوفية التي خاضت ميدان الجهاد الإسلامي متعددة، وسوف نستعرض بعضًا منها لاحقًا.

ففي القرون الأولى ضرب الصوفية أروع الأمثلة في الالتزام بالكِتاب والسُّنة ومكارم الأخلاق، فالقرآن والسُّنة هما المصدر الأساسي للتصوف العملي للصوفية، ولذلك أقبل عليهم الجمهور لما وجدوه عندهم من مجاهدات وطاعات ورغبة في إفادة الخلق ومؤاساتهم وإدخال السرور عليهم، وكان الصوفية يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص

---

(٦٨) الأنفال:٦٠.

(٦٩) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره (٢١٩/١/ح:٢٥١).

(٧٠) د. محمد الرحموني، الدين والأيديولوجيا ( جدلية الديني والسياسي)، م.س، ص ٥٢.

(٧١) انظر على بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعه والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م

واتباع السُّنة، والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله.. وتزكية النفس وإصلاحها، مستخدمين أسلوب الترغيب وليس أسلوب الترهيب.

فقد كانت التربية كما سبق وقلنا منهجًا أساسيًّا في التصوف العملي، تربية الذات وتربية المريدين، والأمثلة عديدة على مشاركة الزهاد أو الصوفية الأوائل في الجهاد الأصغر إلى جانب جهادهم الأكبر ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **إبراهيم بن أدهم**[٧٢]: وهو الزَّاهد العابد الذي عاهد ربه أن لا يكون عالة على أحد، وأن لا يأكل إلا من عمل يده، وعرق جبينه، فبعد مجاورته بمكة مدة انتقل إلى الشام طلبًا للعلم والرزق الحلال، وفي الشام أخذ يتنقل بين مدنها مصيصة، طرطوس، جبلة، صور ومرعش وبيت المقدس وغزة... وكان يكسب عيشه من الحصاد وحراسة البساتين[٧٣]، فقد كان شديد الورع مسيطرًا على شهواته وأهوائه قائلًا: «إن أشد الجهاد جهاد الهوى، ومن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها وكان محفوظًا ومعافى من أذاها»[٧٤]، لكن ابتعاده عن الناس لم يدفعه لكي يعيش على هامش المجتمع كما يفعل خطأ العديد من المتصوفة، بل كان مدد عون وإفادة للخلق قدر استطاعته، ولما نودي للنضال عندما دخل الروم المصيصة، الواقعة بين أنطاكية وبلاد الروم، شارك إبراهيم بن أدهم في معارك المسلمين ضد الروم برًّا وبحرًا، وأبلى فيها بلاءً حسنًا وأظهر من الشجاعة ما شد به عزائم أقرانه ورفع روحهم المعنوية، وفي عكا كان يرابط على أسوار المدينة حارسًا خلال الليل، وفي غزواته كان يقوم بخدمة رفاقه ومعاونتهم، فكان يعتبر أن الرمح هو مسواكه وميدان المعركة هو محرابه، حتى استشهد في معركة بحرية ضد الروم عام ١٦١ه، فقد أعطى إبراهيم ابن أدهم مثالًا طيبًا للمجاهدين الزاهدين الذين يضحون بالغالي والنفيس لجهاد الأعداء وإعلاء كلمة الله تعالى[٧٥].

---

[٧٢] أبو أسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من أهل بلخ، مدينة بخراسان، كان من ابناء الملوك وزهد وترك التزين بالدنيا، ولزم طريقة أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام وكان يعمل بها حتى لقي ربه، أنظر: الطبقات الصوفية، أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق دكتور أحمد الشرباصي، مؤسسة دار الشعب، ط٢، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥.

[٧٣] ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، م.س، ص ٤٠

[٧٤] د. عبد الحليم محمود، إبراهيم بن ادهم شيخ الصوفية، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٤٣

[٧٥] المرجع السابق، ص ٦٧

- **حاتم الأصم**[٧٦]: صوفي مشهور، اشتهر بالورع والتقشف، وكان لا يخاف في قول الحق عند القضاة والحكام، ونظرة حاتم الأصم للجهاد نظرة عامة شاملة، وهي النظرة الإسلامية الصادقة للجهاد، يقول: «الجهاد ثلاثة: جهاد في سرك مع الشيطان حتى تكسره، وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤديها، وجهاد مع أعداء الله في غزو الإسلام»[٧٧]، فقبل أن يخوض الحرب ويشارك في معارك الفتوح، جاهد نفسه وحارب هواه أولًا، ثم شارك مع شيخه شقيق البلخي (ت:١٩٤ه) في معركة كولان عام ١٩٤ه ضد الترك، وتوفي الأصم عام ٢٣٧ه/٨٥١م عند رباط على جبل يقال له رأس سروند[٧٨].

وحاتم الأصم هو تلميذ **لشقيق البلخي**، الذي يُعد من قمم الصوفية الشامخة، فإلى جانب زهده وورعه، سارع إلى خوض المعارك ضد العدو، فقد اعتبر شقيق أن محاربة العدو من أعظم القربات إلى الله تعالى، وكانت فلسفته في الجهاد أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى وإعلاء كلمته، وكان تلاميذه الذين يزيدون على الثلاثمائة يشاركونه الجهاد وخوض معارك الشرف والبطولة، وتوفي في معركة كولان عام ١٩٤ه وعمره ٩٤ عامًا[٧٩] شهيدًا في ساحة الحرب والجهاد[٨٠].

هذا ولم يكن الزُّهاد والصوفية الأوائل وحدهم من شارك في الجهاد بمعنييه الأكبر والأصغر، فقد لعبت الزوايا الصوفية دورًا كبيرًا في تشكيل العقل الجمعي، فقد كانت بالإضافة إلى أنها مركزٌ للاعتكاف والعبادة وتعلم الشريعة والتسلح المادي والروحي للجهاد، فقد كانت بمثابة مراكز للثقافة الإسلامية عمليًّا من خلال تربية المريدين، وعلميًّا من خلال مجالس العلم ونسخ الكتب ونشرها[٨١]، فكان جهادهم بالقرآن بما يحويه من القوة والسلطان والتأثير العميق والبيان الوافي للحقائق والقيم والحكم[٨٢]، لقوله تعالى:

---

[٧٦] هو أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان بن يوسف الاصم، من أكابر مشايخ خراسان، توفي في قرية من قري ما وراء النهر تسمي «واشجراد» انظر أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق أبو سهل، ص ٦١

[٧٧] أبي عبد الرحمن السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، م.س، ص ٣٠

[٧٨] انظر سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية عشر، ص ٤٨٥.

[٧٩] د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، ص ٥٥

[٨٠] د. عبد الحليم محمود، إبراهيم بن أدهم شيخ الصوفية،م.س، ص٩.

[٨١] د. سيد حافظ عبد الحميد، التصوف العملي والمشروع الحضاري عند عبد القادر الجزائري، م.س، ص ٢٢.

[٨٢] د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، م.س، ص ١١.

﴿**وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[٨٣]، فالإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية يقول: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر (التصوف)، لأن علمنا هذا مُقيد بأصول الكِتاب والسُّنة. الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سُنَّته ولزم طريقته»[٨٤].

**فلم يتوقف الصوفية المتقدمين أيضًا عند جهاد النفس بل تخطوه إلى جهاد المعتدين أو كما يسمى جهاد الكفار**، ولِم لا وقد ارتبط الجهاد في الإسلام بكلمة في سبيل الله، وكل أفعالهم وتحركاتهم مدارها أن تكون خالصة لوجه الله، قال تعالى: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾[٨٥]، وقول الرسول ﷺ: «إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»[٨٦].

وقد كان للطرق الصوفية دورها في مواجهة العدو، والدفاع عن مصالح الطبقات المستضعفة، مثل دور الطريقة التيجانية، والقادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ودور الطريقة السنوسية في حركة الإصلاح ومقاومة الاستعمار الإيطالي في ليبيا، والطريقة الشاذلية في مصر كما عرضنا سابقًا، والرحمانية في المغرب، فقد لعب السلوك الصوفي دورًا مهمًّا في الدفاع عن الوطن وفي نشر الإسلام، خاصة في إفريقيا التي يعد التصوف فيها جزءًا أساسيًّا من البنية الروحانية الإسلامية. بل هو محور حركتها الإصلاحية والدعامة الأساسية للجهاد فيها، وسوف نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الشيخ شامل الداغستاني:** شيخ الطريقة النقشبندية في بلاد داغستان، وهو أحد الزعماء الذين ثاروا على الحكم الروسي، فقاد النضال وانتصر على الروس في عدة معارك، ولكن حلت به الهزيمة عام ١٢٥٣ هـ/١٨٣٧م، ولكن سرعان ما استعاد حكمه في العام التالي واسترجع جزءًا عظيمًا من بلاد داغستان، وعرف عهده باسم عهد الشريعة الإسلامية، فقد

---

[٨٣] الفرقان:٥٢.
[٨٤] أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، م.س، ص ٧٠،٧١
[٨٥] التوبة:٤١.
[٨٦] السيوطي، أربعون حديثًا في فضل الجهاد، م.س، ص ٦٥ .

حاول الروس عدة مرات إخماد ثورته ولكن باءت بالفشل، وتوفي بالمدينة المنورة عام ١٢٨٨ه/١٨٧١م بعد حياة مليئة بالنضال والجهاد[٨٧]

- **كذلك كان جهاد الشيخ محمد المهدي السنوسي** توفي ١٣٢٠ه/١٩٠٢م، وأتباعه ودعوته ضد أعداء الوطن من الفرنسيين في النيجر والتشاد وجنوب الجزائر، ووقعت عدة معارك شارك فيها شيوخ الزوايا السنوسية وكان المجاهدون تحت قيادتهم، وبعد الشيخ محمد المهدي تولى ابن أخيه **الشيخ أحمد الشريف**[٨٨] قيادة الحركة وخاض معركة الجهاد ضد فرنسا وإيطاليا، **ثم شارك القائد الليبي عمر المختار**[٨٩] وهو القائد الأبرز للقوات الليبية المقاومة للاستعمار الإيطالي، والذي كان يجاهد تحت لواء أحمد الشريف السنوسي، وقد التحق المختار في السادسة عشر من عمره بزاوية الجغبوب (التابعة للطريقة الخضرية الشاذلية) والتي بدأ فيها طريقه الروحي، وعندما بدأ الجهاد ضد المستعمر الفرنسي لم يتوانِ وخرج يواجه الدبابات مع فرسانه وهم لا يملكون سوى البنادق، وكانت الزاوية الكبرى في جغبوب مركزًا ومقرًا له ولقواته، فظل يقاوم تقدم الفرنسيين في التشاد والنيجر حتى عام ١٣٢٤ه/١٩٠٢م، حتى استدعاه الشيخ أحمد الشريف للمقاومة في ليبيا ضد المستعمر الإيطالي، وقد حقق عدة انتصارات وأسر وسجن ثم تم محاكمته وأُعدم علنيًّا واستشهد في بطولة وشجاعة في ٤ جماد الأولى ١٣٥٠ه/١٩٣١م وعمره ٧٣عامًا[٩٠].
- **ومن الصوفية المجاهدين الأمير عبد القادر الجزائري**[٩١]: الذي قاوم الاستعمار الفرنسي في الجزائر ١٥ عامًا، وضرب مثالًا رائعًا في الجهاد والثورة والمقاومة الحضارية،

---

(٨٧) د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، ص ٥٣

(٨٨) حفيد الشيخ محمد بن علي السنوسي مؤسس الدعوة السنوسية، ولد بالجغبوب بليبيا ٢٧ شوال ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، حفظ القرآن ودرس أصول الدين والفقة في زاوية الجغبوب، انظر القشاط، جهاد الليبيين، ص٢١٥، ٢١٧.

(٨٩) عمر المختار بن عمر بن فرحات، من عائلة غيث، إحدي قبائل برقة، ولد بالدفنة بمنطقة البطنان بليبيا حوالي عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، أخذ العلم على والده، ثم إلى زاوية جنزور لياخذ العلم من شيخها حسين الغريانى، ثم انتقل إلى زاوية جغبوب السنوسية، وفي عام ١٣١٣/١٨٩٥م عين شيخا لزاوية القصور التابعة لقبيلة العبيد بالجبل الأخضر والتي حقق فيها الأمن والاستقرار والقضاء على أسباب النزاعات القبلية وحقق شعبية كبيرة والتف حوله الناس مما فتح له آفاق العمل السياسي في ليبيا وتشاد والسودان.

(٩٠) انظر د. محمد أحمد درنيقة، صفحات من جهاد الصوفية والزهاد، ص ٨٠: ٨٦

(٩١) هو المتصوف العالم المجاهد عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن عبد القادر ولد في ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، توفي١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، اعتقل عام ١٨٤٧م واستقر به المطاف في دمشق ليواصل جهاده الروحي من خلال العلم والعمل ووأد الفتن، فدرس الحديث والتصوف ونشر الفتوحات المكية وأسهم في

وأسهم في إحياء تراث التصوف العملي وقراءته بشكل جديد، فقد خرج بتصوفه من دائرة القول إلى دائرة التطبيق والممارسة، فاستطاع بتصوفه أن يضع أسس دولة مدنية قائمة على العدل والعلم فقد نشأ نشأة صوفية في زاوية والده محيي الدين الذي كان شيخاً للطريقة القادرية بالجزائر، وتولى عبد القادر إمارة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي عام (١٢٤٨هـ-١٨٣٣م)، واستطاع بجهاده أن يهتم بالتعليم، وأنشأ جيشاً قويًا واهتم بالقضاء والزراعة والتجارة والصناعة، داعيًا إلى التسامح الإنساني في أرقى صوره، وهو في كل ذلك لا يخرج عن القرآن والسُّنة ولا يحيد عنهما[٩٢]، فكانت الحرب التي قادها الأمير عبد القادر على الفرنسيين حربًا دفاعية للحفاظ على الوطن، واستقلال أراضي الجزائر، وكان يتعامل مع مفهوم الجهاد برؤية إسلامية بعيدة عن التطرف والتشدد الديني وبسط النفوذ العقدي، كما أنه لا يبتغي من ورائه مطامع دنيوية أو سلطاوية، فهذا ضد مقاصد التربية الروحية الصوفية الأصيلة[٩٣].

- وكذلك **محمد بن عبد الله حسن**[٩٤] الذي أعلن الجهاد ضد المستعمر البريطاني عام (١٣١٤هـ-١٨٩٩م) وكانت دولته تسمى دولة الدراويش وجيشه يسمى جيش الدراويش واستطاع أن يحقق عدة انتصارات عليهم، مما جعل بريطانيا تجنح للسلم معه وعقد اتفاقية لوقف إطلاق النار عام ١٩٠٥م استمرت سنتين، ومن قوة بأس هؤلاء الصوفية حاولت بريطانيا معهم بشتى الوسائل، حتى عرضت عليه مُلك الصومال، إلا أنه في كل مرة كان الرد منهم قاسيًا، ولم تتمكن بريطانيا من القضاء عليه إلا بشن هجوم واسع بالطائرات استهدفه هو ومجموعة من مريديه ولكن بعد أن خاض المعركة بشرف وبسالة.

عرضنا سابقًا لمفهوم الجهاد كما اعتنقه الصوفية ومارسوه بكل قوة وشجاعة دفاعًا عن الإسلام وكان لهم مواقفهم الإيجابية ضد كل أنواع وأشكال التطرف والإرهاب، فلم يكن يعنيهم إلا العيش في سلام في وطن يدينون فيه بالولاء ويقفون ضد من يحاول

---

بناء دور العلم وبناء النفوس المجددة. انظر عبد الباقي مفتاح، مقدمة كتاب المواقف لعبد القادر الجزائري،ج١، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ١٢

[٩٢] د. سيد حافظ عبد الحميد، التصوف العملي والمشروع الحضاري عند عبد القادر الجزائري، م.س، ص ١٠، ١٥

[٩٣] المرجع السابق، ص ١٧١، ١٧٤.

[٩٤] محمد بن عبد الله بن حسن بن نور الداوردي، قائد صومالي ولد ٧ أبريل ١٨٥٦، توفي ٢١ ديسمبر ١٩٢٠ م، قاد الجهاد ضد الاحتلالين البريطاني والإيطالي في الصومال في مطلع القرن العشرين

اغتصابه، بل كانوا يفهمون الجهاد الفهم الديني الصحيح الذي يعني أولًا بتربية النفس تربية صالحة حتى تتمكن من المشاركة الإيجابية للدفاع عن وطنها ودينها.

٥- **الفهم الخاطئ لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخدام جماعات التطرف له:**

ما من شك أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دورًا مهمًّا للغاية في أمن المجتمعات وصلاحها، ولكنها على فضلها وخيريتها أصبحت مدخلًا لبعض أهل الأهواء في التمرد على ثوابت الدين وحرية المجتمع وتعريضه للفتن والتنازع، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا خلا من ضوابطه وشروطه أصبحت شروره أعظم من مقاصده الإصلاحية. فهو في الأساس فرض على الكفاية[٩٥]، ودعوة بالحسنى وليس بالعنف والإكراه.

**فما حقيقة هذا المفهوم كما ورد في الإسلام؟ وكيف حورت جماعة الإخوان هذا المفهوم وأساءت استخدامه وشوهت معناه، وهل كان للصوفية دور في تصحيح هذا المفهوم واستخدامه بالمعنى الروحي الإسلامي الصحيح؟**

**المعروف هو:** ما يستحسن من الأفعال، وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه[٩٦].

**والأمر بالمعروف** ينبع من مبدأ التعاون على البر والتقوى، فقد أمر الله تعالى بالتعاون مع الجميع ما دام محل التعاون البر والإحسان ومصالح الناس[٩٧]، لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[٩٨]، فالمؤمن مطالب أولًا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم بالجدل والحوار والنقاش بالتي هي أحسن، فلا يحق لإنسان أن يعتدي على أي إنسان بداعي الأمر بالمعروف أو النهي عن

---

[٩٥] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المجلد٢، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٤م، ص ٣٨٧

[٩٦] الجرجاني ، معجم التعريفات، م.س، ص ١٨٥.

[٩٧] د. علي قرة داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الارهاب، م.س، ص ٣٠٣.

[٩٨] المائدة:٢.

المنكر[٩٩]، يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[١٠٠]، ولم يقل بالتي هي أعنف ولا التي هي أشد.

**والمنكر هو:** ما يُنكر بهما، أي كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسانه، فتحكم بقبحه الشريعة.

**والنهي عن المنكر** يكون بالوعظ والنصح والتخويف بالله، ولابد فيمن يقدم الوعظ أن يكون عارفًا عالمًا، فإذا رأى الإصرار على المنكر من فاعله يحكي له سير السلف وعادة المتقدمين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظرة الرحمة، ولا يكون كمن استهواه نفسه وأعجب بها فإنْ وعَظَ عنَّفَ، وإنْ وعظ أنَّف، قال بعض المحققين: فذلك في الدرك السابع من النار[١٠١].

فهناك فرق بين الموعظة والملامة، فالموعظة تُقبِّح الفعل المذموم المنكر عنه، وتذمه، قاصدًا بذلك ذم الفعل وليس الفاعل وأن الذي دعته لذلك هو النفس الأمارة بالسوء وأن المطلوب منه قمعها وذلها نصرة للحق، فيكون ذلك الوعظ عطفًا عليه وليس توبيخًا له، ويكون الواعظ معينًا له على نفسه، وأن يكون الوعظ سرًا فهذا أفضل وأعظم، يقول الإمام البيهقي بسنده عن أم الدرداء – رضي الله عنها–: أنها قالت: من وعظ أخاه بالعلانية فقد شانه، ومن وعظه سرًا فقد زانه[١٠٢] .

فإن التطرف في السلوك الديني أو التعبدي نتج عن خلل في فهم النصوص أو في فقه الأحداث، والرسول ﷺ أمر بالتيسير على العباد لا التعسير والتشديد، **فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ: أن رجلًا قال: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبًا من يؤمئذٍ، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»**[١٠٣]، فالنفوس السوية

---

[٩٩] د. علي القرة داغي، إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب، ص ٣٥٢ بتصرف

[١٠٠] النحل: ١٢٥.

[١٠١] مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ترجمة د. رضوان السيد، د. عبيد الرحمن السالمي، د. عمار الجلاصي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ص٢٤٥.

[١٠٢] المرجع السابق، ص٢٤٦.

(١٠٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: العلم، باب: الغضب في الموعظة والتعليم، إذا رأى ما يكره (١/٣٠/ح:٩٠)

جُبلت على حُب التيسير؛ لأنه يتناسب مع ظروف العباد واختلاف أحوالهم، فليس من المرغوب أن تشق على الناس وتُعسِّر عليهم الأمر حتى وإن كنت في عبادة أو طاعة[١٠٤].

هذا المفهوم الذي عرضنا دلالاته الشرعية من الكِتاب والسُّنة ويحمل معاني الرحمة والتسامح والحوار مع الآخر أيًّا كانت توجهاته الدينية أو العرقية، قد فُهم فهمًا خاطئًا واستخدم استخدامًا شيطانيًّا، من قبل جماعات التطرف والإرهاب وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، فتلك الجماعة شأنها في ذلك شأن أي هيئة سياسية ذات تمحور ديني، تعتقد بالربانية في أعضائها ويقطع مرشدوها بأنها تمتلك الحقيقة المطلقة، ويتميز المنتمون إليها والأعضاء العاديون على السواء بالسمو والاستعلاء على الغير، وأنهم حاملو كلمة الله الذي تعهد لهم بحفظها دون غيرهم، ومن هنا يستحيل عليهم أن يقبلوا بأي حوار ديمقراطي، أو الجدل بالتي هي أحسن، لأن هذا الجدل- كما يدعون- يتخبط في الظلام وينقصه العقل ويفتقر إلى الخُلق القويم ويحمل الإلحاد ويتمرغ في التحلل الذميم ويتسم بالإنسانية الخاسرة ويكون من حزب الشيطان والذي ليس له دواء عندهم إلا السيف، ومن ثم أكملت مسيرة هذا الفكر المتعصب باقي الجماعات الإسلامية، لأنها تعتنق ذات الفكر وتؤمن من أعماقها بـــ«الاصطفائية وتملك الحقيقة المطلقة»، فهي تدعي أنها تدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي في الحقيقة يسيطر عليها فكرة تملك الحقيقة المطلقة أو التفرد الديني، وأن ما تدعيه هو الحق ولا بد أن يتبع وما دونه هو الباطل ولا بد أن يجتنب، وهذا التفرد الديني هو نظام معادٍ للتعددية وغير متسامح حتى مع المسلمين الآخرين[١٠٥]، ومن ثم كانت ثمرتهم هي العنف الدامي، والاستقواء بالمؤامرات والجماعات الإرهابية المتطرفة لتنفيذ مخططاتهم وترويج أفكارهم ومعتقداتهم.

وقد كان ظهور جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، امتدادًا للفكر الوهابي، نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب، الذي اتسم بالتشدد والتزمت والتمسك الحرفي

---

[١٠٤] د. فاروق السامرائي، ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال، دار الفتح للدراسات والنشر،ط١، عمان، الأردن، ٢٠١٧م، ص٩٨.

[١٠٥] جون إل. إسبوزيتو، مستقبل الإسلام، ترجمة سندس عاصم، دار النشر للجامعات، ط٢، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١١٠.

بالقرآن والتوحيد، حتى أنكروا باقي القبائل والمجتمعات الإسلامية وأي شيء يشعرون أنه غير إسلامي ينظرون إليه على أنه كفر يتوجب إجهاده وقمعه، ومن ثم أصبحت الوهابية تشير إلى دين شديد التطرف والصرامة، فمنذ أواخر الستينيات كان للإسلام الوهابي والسلفي انتشارٌ وتأثيرٌ واسعٌ، ووصل الأمر إلى إعطاء رواتب للوعاظ والدعاة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وتوزع عليهم النصوص الدينية لنشر رسالتهم المتطرفة(١٠٦).

وهكذا أساءت جماعات التطرف والإرهاب فهم دلالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأشاعت العنف والوحشية والإرهاب في كل أنحاء العالم، مما أساء إلى الإسلام والمسلمين وشوه عظمة هذا الدين السمح، فكيف كان موقف الجماعات الصوفية منه وهل كانت أيديولوجيا السلوك الصوفي معبرة عن الدلالات الإيجابية لهذا المفهوم.

**٦- أيديولوجية السلوك الصوفي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

أيديولوجية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنبع من تأليف قلوب المسلمين، وذلك يكون بلين جانب المسلم للمسلم على مستوى القيادة والأفراد بالمجتمع، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾(١٠٧)، وقول الرسول ﷺ: **إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**»(١٠٨)، ومن نتائج ذلك اجتماع الناس على قائدهم، وتراحمهم فيما بينهم(١٠٩).

**كما أن الأمر بالمعروف:** يكون بالعناية بذوي الحوائج في المجتمع، ورفع الحرج عنهم، وتوجيه المجتمع للعناية بهم، يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ..﴾(١١٠)، ومن نتائجه سلامة نفوس الضعفاء والمحتاجين تجاه الأغنياء، ودفع

(١٠٦) المرجع السابق، ص ١٠٩
(١٠٧) آل عمران: ١٥٩.
(١٠٨) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/٣٥٠/ح:٧٦٩٧).
(١٠٩) د. إبراهيم صلاح الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، م.س، ص١٣٥.
(١١٠) الكهف:٢٨.

التحاسد، وتأليف القلوب، فالألفة من صفات المؤمنين، والإشارة إلى وجودها في المؤمن آية على خيريته، وتكون الألفة بإلقاء السلام والمصافحة[١١١]، يقول ﷺ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**، ولأنه ﷺ هو القدوة في الأمر بالمعروف فقد دعا إلى إدخال السرور على المؤمن، لأنها من أفضل الأعمال، يقول ﷺ: **أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن: كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجة**[١١٢].**وَرُوِيَ عَن عمر رَضِي الله عَنْهُ مَرْفُوعا أفضل الْأَعْمَال إِدْخَال السرُور على الْمُؤمن كسوت عَوْرَته أَو أشبعت جوعته أَو قضيت لَهُ** ، فكل هذه القيم هي التي تدعو إلى التراحم والترابط فهي أصل الأمر بالمعروف، والسلوك الصوفي في مجمله قائم على هذه الصفات والتحلي بها والعمل بموجبها إقتداءً برسولنا الكريم، فإذا نظرنا إلى النماذج التي ذكرناها سابقًا في الجهاد عند الصوفية، نجد أن هؤلاء الصوفية جُلَّهم لم يتأخر عن خدمة المحتاجين.

أما إذا **نظرنا إلى أيديولوجيا الإمام القشيري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** نجدها تتلخص **في خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك من خلال دعوته إلى ضرورة الأخذ بالمعروف والنهي عن المنكر** باعتبارهما رسالة السماء لأهل الأرض وهي رسالة ينتشر بها الصلاح والخير في الأمة، يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[١١٣]، ويؤكد القشيري أن معرفة أحوال الناس وظروف حياتهم لازمة لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يتمكن من مخاطبة الناس مع الأخذ بالحلم والرفق وعدم التعجل في تغيير المنكر، حتى لا يؤدي تغيير المنكر إلى منكر أشد، وحتى يكون قدوةً حسنةً للناس، لأن دور الداعي لذلك هو تبليغ رسالة المولى عَزَّ وَجَلَّ، والسعي إلى إرشاد الناس لحفظ دينهم وتدينهم، يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[١١٤]، ويقول الإمام القشيري

---

[١١١] المرجع السابق، ص ١٣٦.
[١١٢] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذري (٣/٨٥/ح:٣١٨١)
[١١٣] آل عمران:١١٠.
[١١٤] التوبة: ١٢٢.

في ذلك: «لو اشتغل الكل بالتفقه في الدين لتعطل عليهم المعاش، ولبقي الكافة عن درك ذلك المطلوب، فجعل ذلك فرضًا على الكفاية، وجعل المسلمين في ذلك على مراتب، فيشتغل قوم بحفظ أركان الشرع، وآخرون بإمضاء الأحكام، وآخرون بالرد على المخالفين، وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون إلى الله، وإنما يفهم الخلق عن الله من كان يفهم عن الله»[١١٥]، وكان الإمام القشيري يعقد مجالس الوعظ والتذكير بين أصحابه ومريديه ويذكر فيها الآيات والأحاديث التي تحث الناس على الدعوة للخير، حتى قال عنه صاحب طبقات الأولياء: «وأما مجلس التذكير فهو إمامه، عُقد له مجلس الوعظ ببغداد، وكان يروي فيه الأحاديث بأسانيدها عن رسول الله ﷺ وكان صاحب فراسة وفروسية»[١١٦] فيفسر قول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[١١٧]، فقد حرص الإمام القشيري على أن يسير الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر على نهج السلف الصالح فيعظوا الناس بما يرقق قلوبهم ويكسبهم الخشية من الله بعيدًا عن التخويف وكثرة الكلام التي لا تؤدي لفائدة، فيقول – رحمه الله –: «لما كان المصطفى ﷺ أشرف الأنبياء كانت أمته عليه السلام خير الأمم، ولما كانوا أشرف الأمم،... وما حصلت خيريتهم بكثرة صلواتهم وعباداتهم، وإنما جُعلت خيرية هذه الأمة؛ بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١١٨]، فقد كان سلوكه الصوفي مثلًا وقدوة للمريدين خاصة، والمسلمين وغير المسلمين عامة.

ليس هذا وحسب بل دعا الإمام القشيري إلى **ضرورة تطابق القول مع العمل**، فالناس لا يتأثرون بلسان المقال بقدر ما يتأثرون بلسان الحال، فيقول: «إن أظهر الحجج لبيان أفعالك، وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعو به الخلق إلى الله، ألا تخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمقالتك»[١١٩] ثم فسر الإمام قول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ**

---

[١١٥] ابو القاسم القشيري، لطائف الاشارات،ج٢، تحقيق: إبراهيم بسيوني، م.س، ص٧٣.
[١١٦] ابن الملقن، سراج الدين المصري، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شربيه، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٥٩
[١١٧] سورة فصلت:٣٣.
[١١٨] ابو القاسم القشيري، لطائف الإشارات،ج١، تحقيق:د ابراهيم بسيوني، م.س، ص ٢٦٩
[١١٩] المرجع السابق، ص١٤٢.

**تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون﴾**[١٢٠]، فيقول: «هذه الآية نزلت في قوم سألوا عن أفضل العمل، فأنزل الله آية الجهاد فتباطؤوا، فعاب الله عليهم بهذه الآية»[١٢١]، فالواجب على الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الالتزام بالصدق في الأقوال والأفعال، ولا تخالف أقوالهم أفعالهم ولا ظواهرهم بواطنهم، حتى تؤتي دعوتهم الثمرة المرجوة منها.

ويقول الإمام الشعراني (٨٩٨هـ-٩٧٣هـ): أجمع الأشياخ كلهم على أنه يجب على العبد أن يرى نفسه دون كل جليس من المسلمين، ومن لا يرى نفسه كذلك كان من المتكبرين، والمتكبرون في جهنم، فإن رأى نفسه خيرًا من جميع أقرانه كان في النار تحت الكل، وإن أدخل الجنة كان في الجنة تحت الكل، عكس من رأى نفسه دونهم[١٢٢].

ومن قبلهم كان الحارث بن أسد المحاسبي ت٢٤٣هـ/٨٥٧م، يقول عن أهل المعرفة بالله، إن الأصل الذي بنوا به في طريقهم التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق وتقديم العلم على حظوظ النفوس والاستغناء بالله عن جميع خلقه[١٢٣]، وقول المحاسبي: «إن مجانبة الهوى مع العمل اليسير، أعظم وأشد على النفس من تحمل المكروه والشدائد في الأعمال الكثيرة، إذا كان معها الهوى»[١٢٤].

ومن كبار الصوفية الأوائل أيضًا والذين لهم اتجاه زهدي وروحي **سهل التستري** (ت:٢٨٣)، وأكثرهم تحديدًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يقول: «أيما عبد قام بشيء مما أمره الله من أمر دينه فعمل به وتمسك به فاجتنب ما نهى الله عنه عند فساد للأمور وتشويش الزمان واختلاف الناس في الرأي والتفريق إلا جعله الله إمامًا يقتدى به هاديًا ومهديًا قد أقام الدين في زمانه، وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٢٥].

---

[١٢٠] الصف: ٢.
[١٢١] المرجع السابق نفسه.
[١٢٢] عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق :طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عيد الشافعي، ج٢، دت، ص ٩٧.
[١٢٣] د. عبد الحليم محمود، أستاذ السائرين الحارث ابن أسد المحاسبي، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٤٨.
[١٢٤] المرجع السابق، ص ١٦٥.
[١٢٥] أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١٠، تحقيق أ. الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٩٠.

**ويقول الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت:٦٦٠ ه):** «... كلما قويت الوسائل في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل مصلحة ذلك المعروف المأمور به، فالأمر به رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة الفعل المأمور به؛ فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف[١٢٦]، لقوله عليه السلام: **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**[١٢٧].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تحقق القول في العمل والفعل، حتى يعُم الخير والمعروف جميع الناس، وحتى لو صغُر العمل، كأن يكون إبعاد الأذى عن الطريق الذي يسير فيه الناس أيًّا كانوا، فلم يفرق بينهم في اللون أو الجنس أو الدين..إلخ، وهذا ما التزم به الصوفية في مسلكهم الصوفي حتى أصبح يشكل أيديولوجيتهم الصحيحة أفرادًا وجماعات.

**أما النهي عن المنكر** فلا يكون بالزجر والترهيب وإنما بالعفو والصلاح، فالقرآن الكريم يدعو إلى العفو، مُرغبًا في الثواب الجزيل في دار المعاد في قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١٢٨]، ويروي عن ابن أبي الدنيا[١٢٩]: أن فضيل بن عياض رأى رجلًا يفقع أصابعه في الصلاة فزبره ونهره. فقال له الرجل: يا هذا! ينبغي لمن قام لله عَزَّ وَجَلَّ يأمر أن يكون دليلًا. فبكي الفُضيل وقال: صدقت[١٣٠].

---

[١٢٦] مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، م.س، ص١٢٣.

(١٢٧) أخرجه النسائي في «السنن الصغرى»، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: ذكر شعب الإيمان (٥٠٠٥/١١٠/٨)

[١٢٨] آل عمران: ١٣٣، ١٣٤ .

[١٢٩] الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الاموي مولاهم، أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي، ولد في بغداد سنه ٢٠٨هـ، توفي ٢٨١هـ.

[١٣٠] أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا البغدادي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق صلاح بن عايض الشلاجي، مكتبة الغرباء الاثرية: ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٣١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٠٠.

ومن نتائج النهي عن المنكر باللين، تحقيق السلم الاجتماعي ظاهرًا وباطنًا، ومقابلة الإساءة بالإحسان فقد أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(١٣١)، وحذر ديننا الحنيف عن كل ما يروع المسلم يقول ﷺ: **مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**(١٣٢)، وفي رواية **مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**(١٣٣)، وفي ذلك نهي عن كل ما يؤدي إلى عدم الألفة بين الناس(١٣٤)، فقد نهانا ديننا ورسولنا ﷺ عن الظن والتجسس والتحسس والتنافس والتحاسد والتباغض والتدابر والظلم والخذلان والتحقير والهجر، فجاءت المعالجة للمنكر بطريقة الترغيب في عمل الخير والابتعاد عن الشر وليس الترهيب والتخويف.

**فالحارث بن أسد المحاسبي** يدعو إلى النهي عن المنكر عن طريق مجابهة آفات النفس، يقول: «الورع هو المجانبة لكل ما كره الله عَزَّ وَجَلَّ من مقال، أو فعل، بقلب أو جارحة والحذر من تضييع ما فرض الله عَزَّ وَجَلَّ عليه في قلب أو جارحة»(١٣٥)، وأن الورع يتم بما نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه من العقد بالقلب على الضلال والبدع والغلو في القول عليه بغير حق ولا يعتقد إلا الصواب(١٣٦)، و"المحاسبي" يدعو مجابهة المنكر بالبعد عن الكبر والعجب والغرور والحسد وشح النفس والرياء وغيرها من المنكرات، ويدعو إلى الأمر بالمعروف، بإفشاء السلام بين الناس والدعوة إلى الخير والإخلاص والتقوى، فالتقوى عند المحاسبي هي: الخوف والحذر من الله، خوفًا وحذرًا ينطويان على ضرورة أداء ما أمر به والابتعاد عما نهى عنه، وهي أساس طاعة الله وهي مصدر الورع، ولا بد أن تقترن التقوى بعمل الخير، وترك الشر(١٣٧) .

---

(١٣١) فصلت: ٣٤.

(١٣٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/٢٠٢٠/ح:٢٦١٦)

(١٣٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/٣٢/ح:٧٠).

(١٣٤) د. إبراهيم صلاح الهدهد، خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف، م.س، ص١٤١

(١٣٥) د. عبد الحليم محمود، أستاذ السائرين الحارث المحاسبي، م.س، ص ١٨٥.

(١٣٦) المرجع السابق، ص ١٨٥

(١٣٧) المرجع السابق، ص ١١٤.

وتمثل أقوال "المحاسبي" وأفعاله ردًا إيجابيًّا على مُدعي الإسلام المتشددين من أصحاب الجماعات المتطرفة الحاقدين والكارهين لأنفسهم، فالنهي عن المنكر كما أكده "المحاسبي" يكون بمحو عقد القلب أولًا، والبعد عن البدع والغلو والتقول على الله بغير حق.

ويقول العزُّ بن عبد السلام: «... وكذلك النهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفسدة ذلك المنكر المنهي عنه: ورُتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مفسدة الفعل المنهي عنه، ثم تترتب رُتبة ذلك على رُتب المفاسد، إلى أن ينتهي إلى أصغر الصغائر، فالنهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهي في باب النهي عن المنكر، ولا يخفى أن وسائل المكروه مكروهة والمندوب مندوبة والمُباح مُباحة[١٣٨]، فالشيخ العز انتهى إلى أن النهي عن المنكر وسيلة لغاية، والوسائل تسقط بسقوط المقاصد[١٣٩].

ويروي ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: كان من قبلكم إذا رأى من أخيه شيئًا يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه، ويستعقب أخاه، ويهتك ستره[١٤٠].

يقول أبو الحسن الشاذلي: إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة فإن من تعدى حدود الله فهو الظالم، والظالم لا يكون إمامًا، ومن ترك المعاصي وصبر على ما ابتلاه الله وأيقن الله ووعيده فهو الإمام وإن قلت أتباعه[١٤١].

وإن كان المستشرق مايكل كوك يرى: أن الصوفية لم يخصصوا جزءًا من كتاباتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – حتى الإمام الغزالي حين أفرد بابًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يتحدث بوصفه صوفيًّا، ولا يوجد فيه الكثير مما يمكن اعتباره صوفيًّا صرفاً إلا في الجزء الخاص في النظر في النفس لاستكاناة دوافعها الخفية، وتنبيهه إلى الرياء الخفي وحثه على تقليل العلائق، وأشار أيضًا في تعليقه ونقده إلى تفسير الإمام القشيري لآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنها لا تعدو مجرد

---

[١٣٨] مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، م.س، ص١٢٣.
[١٣٩] المرجع السابق، ص ٥٠٦
[١٤٠] ابن أبي الدنيا، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، م.س، ص ١٠١.
[١٤١] عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ج٢، تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار توفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٦.

لهجة للوعظ والدعوة إلى التقوى، وأن تفسيره لم يبلغ مستوى ما يمكن أن يُعد تأويلًا صوفيًّا لهذه الفريضة، ولكنه عاد ليقول: إن هذا طبعًا لا يعني غياب رابطة حميمة بين التصوف والنهي عن المنكر، فالصوفية مسلمون كغيرهم(١٤٢).

فبماذا يريد كوك بهذا القول؟ نعم الصوفية مسلمون ملتزمون بالكِتاب والسُّنة وإذا لم تظهر لمحة صوفية في كتاباتهم أو تفسيرهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلأنهم أهل أحوال لا أقوال، فالنظر في أحوالهم وسلوكهم هو الذي يفسر أن اللمحة الصوفية موجودة في كل شيء وليس فقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسبر أغوار النفس هو أحد وسائل الصوفية في النهي عن المنكر، كما سبق ووضحنا.

وإذا كان مايكل كوك يحاول نقد الصوفية وبيان سلبيتهم تجاه قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأنهم ابتعدوا عنها خشية السلطة الحاكمة، وأكد بعض الأقوال التي تخرج بمفهوم التصوف الإيجابي الصحيح إلى خُرافات وأوهام وتصورات غير معقولة، فالقول الفصل في هذا الأمر هو أن السلوك الصوفي الصحيح يعتمد أساسًا على أن يكون الصوفي مثلًا وقدوه يحتذى به، كما كان رسول الله قدوة للمسلمين جميعًا، وعلى هذا الأساس فإن الصوفية قد فهموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهمًا روحانيًّا أخلاقيًّا بالدعوة إلى الأعمال والأفعال الخيرة، وأن النهي عن المنكر هو تطهير النفس ومحاربة أهوائها وجموحها وشهواتها، ولم يمنع ذلك من تفاعلهم وانصهارهم مع باقي أفراد الأمة في مواجهة أعدائها من المستعمر أو من يعتدي عليها من جماعات التطرف والإرهاب.

(١٤٢) مايكل كوك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، م.س، ص ٦٤٧

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

### السنّة النبوية المطهرة


١. **ابن الملقن**، سراج الدين، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢. **ابن عربي**، محيي الدين، **الفتوحات المكية،ج١**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م .
٣. _____، محيي الدين، **الوصايا**، دار الإيمان للنشر، دمشق، سورية، ١٩٨٨م
٤. **أديب**، منير، **الجماعات الإسلامية والعنف** (العودة إلى العمل المسلح)، أوراق للنشر والتوزيع، الجيزة، ٢٠١٣م.
٥. **اسبوزيتو**، جون إل، **مستقبل الإسلام**، ترجمة: سندس عاصم، دار النشر للجامعات، ط٢، القاهرة، ٢٠١٣م.
٦. **إسماعيل**، محمود، **الفكر الإسلامي الحديث بين السلفين والمجددين**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م
٧. **الأصبهاني**، أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١٠**، مكتبة الخامجي، القاهرة، ١٩٨٣م.
٨. **أعراب**، إبراهيم، **الإسلام السياسي والحداثة**، بيروت، لبنان، د.ت
٩. **أيوب**، حسن، **الجهاد والفدائية في الإسلام**، دار الندرة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
١٠. **البغدادي**، ابن أبي الدنيا، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: صلاح بن عايض، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، المدينة المنورة، السعودية، ١٩٩٧م
١١. **البنا**، حسن، **رسائل حسن البنا**، دار الفتح للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٢. **داغي**، علي القرة، **إسلام الرحمة وظاهرة الإرهاب**، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٨م
١٣. **درنيقة**، محمد أحمد، **صفحات من جهاد الصوفية والزهاد**، دار جرس برس، ط١، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٤م.
١٤. **دكمجيان**، ريتشارد هرير، **الأصولية في العالم العربي**، ترجمة: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٩م.
١٥. **الذهبي**، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**،ج١٨، مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
١٦. **الرحموني**، محمد، **الدين والأيديولوجيا ( جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية)** تقديم: د.رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
١٧. **السامرائي**، فاروق عبد المجيد، **ظاهرة التطرف الديني في ميزان الاعتدال**، دار الفتح للدراسات والنشر،ط١، عمان، الأردن، ٢٠١٧م
١٨. **السعيد**، رفعت، **الإسلام السياسي من التطرف إلى مزيد من التطرف**، دار الثقافة الجديدة، اكتوبر، ١٩٨٩م.
١٩. **السلمي**، أبي عبد الرحمن، **طبقات الصوفية**، تحقيق د. أحمد الشرباصي، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م
٢٠. **السيوطي**، جلال الدين، **أربعون حديثًا في فضل الجهاد**، تحقيق: مرزوق إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢١. **الشعراني**، الإمام عبد الوهاب، **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**، تحقيق د. طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عيد الشافعي، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت

٢٢. _____ ، عبد الوهاب، **الطبقات الكبرى**، ج١، ج٢، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار: توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٣. **عبد الحميد**، سيد حافظ، **التصوف العملي والمشروع الحضاري**، عند عبد القادر الجزائري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م.
٢٤. **عبد العال**، علي، **السلفيون في مصر**( واقع ومستقبل الحركات السلفية)، تحقيق: عمار علي حسن، مركز النيل للدراسات الاقتصادية والإستيراتيجية، القاهرة، ٢٠١٢م.
٢٥. **عبد الفتاح**، نبيل، **سياسات الأديان الصراعات وضرورات الإصلاح**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار ميريت للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٦. **عمارة**، محمود محمد محمد، **الجهاد مفهومه وضوابطه**، مطابع التوحيد الحديثة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م
٢٧. **الغزالي**، أبو حامد، **المستصفي من علم الأصول**، اعتناء: ناجي السويد، المكتبة العصرية، د.ت
٢٨. _____ ، أبي حامد، **إحياء علوم الدين**، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، مجلد ١:٥ القاهرة، م٢٠٠٤.
٢٩. **الفاسي**، ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، ١٩٧٢م.
٣٠. **القشيري**، أبو القاسم، **أربع رسائل في التصوف**، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الفرات للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
٣١. _____ ، عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تحقيق أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م
٣٢. _____ ، عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم، **لطائف الإشارات ج١**، ج٢،ج٣ تحقيق د. ابراهيم بسيوني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م
٣٣. **قطب**، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣م.
٣٤. _____ ، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، ط١١، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣٥. **كوك**، مايكل، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، في الفكر الإسلامي، ترجمة: رضوان السيد وآخرين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.
٣٦. **المحامي**، حسن صادق، **جذور الفكر الإسلامي**، في الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.
٣٧. **محمود**، عبد الحليم، **إبراهيم ابن أدهم شيخ الصوفية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.
٣٨. _____ ، عبد الحليم، **أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي**، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣٩. **مصطفى**، هالة، **الإسلام السياسي في مصر**، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ١٩٩٢م.
٤٠. **مفتاح**، عبد الباقي، **المواقف** (لعبد القادر الجزائري)، ج١، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ٢٠٠٥م.
٤١. **الهدهد**، إبراهيم صلاح، **خطاب الاعتدال في مواجهة خطاب التطرف**، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الثاني عشر، القاهرة، ٢٠٢١م.

**معاجم وقواميس**

٤٢. **ابن منظور**، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د.ت
٤٣. **الجرجاني**، على بن محمد السيد الشريف، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م